فاقترح على المستوطنين ممارسة نشاطهم الاستيطاني في فلسطين من خلال اتفاق مع «حزب الفلاحين»، وبعد الحصول على موافقتهم، لأنهم اكثرية سكان البلد[٥]. كما اقترح محاولة «اقامة تحالف عربي ـ صهيوني بدلاً من التحالف التركي ـ الصهيوني» المقترح آنذاك[٦].

ويلاحظ ان ادراك ابشتاين للعربي يختلف، جذرياً، عن الادراك الصهيوني العام، وكان ادراكاً ولا شك شجاعاً لم يحاول تهميش العربي او تغيبه، ولم يختبىء وراء اي مقولات ضبابية كاذبة، اذ اعترف بحقيقة القومية العربية والطابع السياسي القومي للنضال الفلسطيني، وبيّن غباء مقولة «شراء فلسطين».

ولم يكن ادراك العربي الحقيقي امراً قاصراً على الشخصيات الصهيونية المبهمة، والهامشية، مثل احاد هعام او ابشتاين، بل اننا نجد ان كثيراً من زعماء الصهيونية ومفكريها قد عاشوا لحظة الادراك هذه. فهرتسل، على الرغم من عمق سطحيته [ان صح التعبير]، على الرغم من عدم فهمه لكثير من الافكار السياسية في عصره، كان قادراً على ادراك تاريخية الواقع العربي وتركيبه. فحينما كان في القاهرة يتفاوض بخصوص واحد من مشروعاته الاستيطانية الكثيرة استمع الى محاضرة عن الري، ويبدو انه رأى بعض العرب المصريين واستمع لاسئلتهم، فكتب: «[ان المصريين] هم سادة المستقبل هنا. ومن العجيب ان الانجليز لا يرون ذلك، فهم يعتقدون بأنهم سيتعاملون مع الفلاحين الى الابد». ثم اخذ هرتسل، بعد ذلك، يصف كيف ان الاستعمار ذاته يخلق الجرثومة التي تقضي عليه، وذلك لانه «يعلمّ الفلاحين الثورة»[٧]، مبدياً دهشته لفشل البريطانيين في ادراك هذه الحقيقة البسيطة. ونلاحظ، هنا، ان هرتسل لا يجزىء العرب الى مسلمين ومسيحيين، او اثرياء وفقراء، وانما يدرك وجود تيار تاريخي له ماض وحاضر ومستقبل، وانه تيار سياسي قومي يهدد اعتى الامبراطوريات.

وحتى بن ـ غوريون نفسه، لم يفلت من لحظة الادراك هذه. ففي العام ١٩٣٨، كتب التقييم المستفيض التالي لثورة الفلسطينيين آنذاك، والذي سنقتبسه برمّته: «ابتداء، احب ان ابدد كل الاوهام التي سادت بين الرفاق ان الارهاب [العربي] هو مسألة مجموعة من العصابات، ممولة من الخارج... نحن، هنا، لا نجابه ارهاباً وانما نجابه حرباً، وهي حرب قومية اعلنها العرب علينا. وما الارهاب سوى احدى وسائل الحرب... هذه مقاومة فعالة من جانب الفلسطينيين لما يعتبرونه اغتصاباً لوطنهم من قبل اليهود ـ ولهذا يحاربون. ووراء الارهابيين توجد حركة قد تكون بدائية ولكنها ليست خالية من المثالية والتضحية بالذات. ومنذ زمن الشيخ عز الدين القسام، اصبح واضحاً لي اننا نجابه ظاهرة جديدة بين العرب. وهذا ليس النشاشيبي او المفتي، فهذه ليست مسألة مصالح سياسية او مالية شخصية. ان الشيخ القسام كان زيلوتياً [غيوراً دينياً] على استعداد للتضحية بحياته من اجل مثل اعلى. ونحن اليوم لا نواجه واحداً وحسب، وانما المئات بل الالوف [امثاله]، ووراءهم كل الشعب العربي. اننا نقلل من اهمية المعارضة العربية في احاديثنا السياسية في الخارج، ولكن ينبغي علينا الا نتجاهل الحقيقة فيما بيننا. ان احترامي للحقائق السياسية (لا العلمية) هو الذي يجعلني اصر على ذكر الحقيقة. والاعتراف بهذه الحقيقة يؤدي بنا الى نتائج حتمية وخطيرة بخصوص عملنا في فلسطين.... يجب الا تبنى الآمال على ان العصابات الارهابية سينال منها التعب، اذ انه اذا ما نال من احدهم التعب، سيحل آخرون محله. فالشعب الذي يحارب ضد اغتصاب ارضه لن ينال منه التعب سريعاً... فمن الايسر لهم ان يستمروا في الحرب، والا يكلّوا ولا يتعبوا مما هو بالنسبة الينا... والعرب الفلسطينيون ليسوا بمفردهم؛ فالسوريون سيمدون لهم يد المساعدة. فمن وجهة نظرنا هم غرباء، ومن وجهة نظر القانون هم اجانب، ولكن بالنسبة الى العرب هم ليسوا اجانب على الاطلاق... ان مركز الحرب هو فلسطين، ولكن ابعادها اوسع من ذلك بكثير. وحينما نقول ان العرب هم البادئون